

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
فإن علم أصول الفقه من أجل العلوم الشرعية وأشرفها، ذلك لأن الحياة البشرية بحاجة إلى ضوابط وأحكام شرعية تسير عليها في جميع مجالاتها، لتستقيم أمورها وتنظم أحوالها.

لذا شرع الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص من الكتاب أو السنة، وبالاجتهاد قد تختلف وجهات نظر المجتهدين، فكان لابد من تقريب وجهات النظر للوصول إلى الحق الذي هو غاية كل مجتهد، ولقد سار المجتهدون على طرق وأصول ومنهج إسلامي لحل مشكلاتهم الإسلامية والفكرية ونوازلهم العصرية، وهذا المنهج استمد مقوماته من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة، وهو ما يسمى بالمنهج الجدلي.

والجدل في علم أصول الفقه ليس المقصود به الجدل الفلسفي، وإنما المقصود منه: تعلم القضايا التي تعين المجتهد على نصب الدليل، ولا يتأتى هذا إلا بالعلم بشرائط الحدود والبراهين، وكيفية ترتيب المقدمات، واستنتاج المطلوب والمعرفة ببعض القضايا العقلية، مما يجعل المجتهد قادراً على تقرير الأدلة ونصبها ووجه دلائلها على المطلوب، وهذا ما يعرف في أصول الفقه بـ "المقدمات الأصولية".

وهذا الكتاب الذي أقدمه بين أيديكم - شرح كتاب المقدمة أو شرح الفصول للنسفي - من الإرث الإسلامي، يتعلق بأهم المباحث الشرعية التطبيقية، وهو ما يعرف بعلم الجدل الأصولي.

وقد سلك فيه مصنفه مختلف طرق الأصوليين والجدليين في البحث والتصنيف، والبناء والهدم، من حيث الاحتجاج بالأدلة، وتحقيق المذاهب، وتفريع المسائل، والتقسيم والتبويب، مع بيان سبب الخلاف وثمرته.

ومن هنا عقدت العزم متوكلة على الله في تحقيق هذا الكتاب ودراسته والتعليق عليه، وإخراجه وفق المنهج العلمي الذي يتطلبه التحقيق، ومن الأسباب التي دعنتي لاختيار هذا الكتاب ما يلي:

١- إن في تحقيق المخطوطات بصفة عامة فائدة عظيمة، وهي إخراج كتب الأئمة والعلماء إلى النور، وتقديمها بالصورة اللائقة التي ينبغي أن تكون عليها.

٢- استيعاب الكتاب لجميع موضوعات علم الجدل، التي تعين المجتهد على نصب الدليل، وتلزم للأصولي في كيفية ترتيب المقدمات والبراهين.

٣- إن هذا الكتاب لم يسبق تحقيقه أو طباعته، وهو من كتب الأحناف الجدلية والتي لم يحقق منها إلا النادر مقارنة بما حقق من كتب الحنابلة والشافعية الجدلية.

٤- إن هذا الكتاب يعد من المصادر الأساسية للمذهب الحنفي.

وهذا العمل كغيره لا يخلو من مصاعب مررت بها، ولكن بفضل الله وتوفيقه لم تكن تلك الصعوبات عائقاً عن إتمامه، وقد تمثلت بالآتي:

١- يعتبر موضوع الكتاب من المواضيع التي جد الاهتمام بها؛ فكانت الدراسات الحديثة التي يستعين بها الباحث في الوقت الحالي نادرة جداً، والكتب المماثلة من حيث الموضوع قليلة جداً، وأما على المذهب الحنفي تكاد أن تكون معدومة.

٢- وفقاً للمعطيات السابقة فقد بحثت في كتب الأوائل التي تتحدث في مواضيع ذات صلة بموضوع الكتاب وهي: أصول الفقه، والفقه، والجدل، والمنطق، وعلم الكلام.

٣- الكتب المماثلة لموضوع الكتاب ما زال معظمه مخطوطاً، مما اضطرني كثيراً إلى البحث في فهارس المكتبات العالمية، وقمت بتصوير ما احتجته من نسخ أو شروح للكتاب، أو مصادر ومراجع للكتاب، وهذا كلفني الجهد والوقت والمال.

٤- بعد الحصول على نسخ الكتب المخطوطة التي تعتبر من المصادر للكتاب وتخدم البحث أو شروح الكتاب، أقوم بقراءتها وكم أجد صعوبة في قراءة خطوط تختلف من عصر إلى عصر، ومن ثم أضع لكل مخطوط فهرساً لموضوعاته، ليسهل الرجوع إليها أثناء البحث والتحقيق والتوثيق.

٥- ليس هذا فحسب بل قد واجهت صعوبة كبيرة حين ظهر لي تشابهاً في الأسماء والمؤلفات، بل والمواضيع التفصيلية لموضوع الكتاب مع عدد من المخطوطات، مما اضطرني إلى دراسة هذه الكتب من الناحية العلمية والأسلوب والصياغة وكذلك دراسة سيرة مؤلفيها، ومعرفة عصره، ومقارنة المادة العلمية بموضوع الكتاب.

هذا وقد سلكت في التحقيق والدراسة والتعليق منهج الوصف والاستقراء والتحليل والاستنتاج، بدأت الكتاب بتمهيد عن الحالة السياسية والاقتصادية في عصر المؤلف مما يعطي تصوراً عن الاستقرار الأمني والنفسي من عدمه، ومدى تأثيره على الحياة العلمية آنذاك، اتبعته بقسم دراسي من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف.

المبحث الثاني: كتاب "شرح الفصول في علم الجدل".

المبحث الثالث: منهج التحقيق والتعليق والدراسة.

أما القسم التحقيقي : فهو خاص بتحقيق المخطوط ودراسته والتعليق عليه.
الخاتمة : وتشمل أهم النتائج والتوصيات المقترحة.
الفهارس العامة.

وبعد أن وفقني الله في تحقيق هذا الكتاب وإخراجه ، ويسر كل عسير ،
أحمده سبحانه وتعالى على ذلك ، ورغم ما بذلته في هذا الكتاب من جهد ليخرج
بالصورة المأمولة ؛ إلا أن هذا الجهد جهد بشري يقع فيه الخطأ ، فما كان فيه من صواب
فمن الله ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي واستغفر الله ، وأناشد كل من اطلع عليه
وعثر على ما ينبغي تصحيحه ، أن يبذل حق النصيحة مشكوراً .
وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله وينفع به ، إنه
ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد

في أوائل القرن السابع الهجري، كانت الدولة العباسية قائمة في بغداد، وكان العالم الإسلامي آنذاك، منقسمًا إلى دويلات كثيرة، انشغل حكامها بالتوسع كل على حساب الآخر، ولم يدركوا خطر الغزو المغولي.

ولم يكن سقوط بغداد حدثًا مفاجئًا، وإنما كان نتيجة حتمية لضعف العالم الإسلامي، الذي أتاح الفرصة للمغول لشن غاراتهم، وغزو البلاد الإسلامية. ونتيجة لتدهور الوضع السياسي ظهرت الانحرافات الدينية والبدع، وقيام الفتن العظيمة بين أهل السنة والطوائف الأخرى، وما تبع ذلك من نهب وسلب وإحراق، وقد وقف العلماء والقضاة والدعاة، من أهل السنة في وجه تلك الفتن، ومحاربة البدع.

كما أن الحياة الاقتصادية تدهورت؛ بسبب الحروب الداخلية والخارجية، والزلازل، وكثرة الحرائق، مما أدى إلى غلاء الأسعار، وانحطاط الحياة الاقتصادية^(١).

(١) انظر: البداية والنهاية (٩٨/١٣، ١٢٨، ١٦٧، ١٨٢، ٢٣٨)، المنتظم لابن الجوزي (٣٠٤/١٦)، الكامل (٢٣/٩)، تاريخ الإسلام د حسن إبراهيم حسن (١٣٤/٤، ٣٠٩).

ومن خلال المعطيات السابقة تبين أن الحياة التي عاشها الفقيه النسفي، كانت حياة مليئة بالحروب والنزاعات السياسية والدينية، انعدم فيها الاستقرار الأمني، وتدهورت فيها الحياة الاقتصادية؛ إلا أن ذلك لم يؤثر على دور المدارس تأثيراً كبيراً، بل ظلت المدارس تؤدي دورها في التعليم والتأليف، ومحاربة البدع.